

حكايات بطولية للأطفال (١٠)

لغز الأطفال والبنديات

في

مخيم الدليست

روضة الفرج العبد



حکایات بطولیۃ للأطفال (۱۰)

لفز الأطفال والبندقية في خيم الدليشة

تأليف: كروقة الطراز المصغر

ترجم: د. سید البستامی

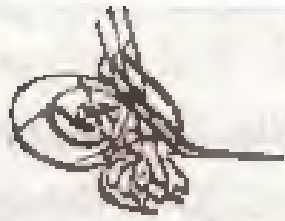
رقم الابداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية

۱۹۸۶/۲۳۱

الذخائر

للذخائر تحب الأرض والوطن .. لأحببت يا فاضل طيب وما فتئت
تذكرها في كل يوم وليلة ..
للذخائر تحب العلم والعلوم .. للذخائر بالقليل لها وللذخائر
والذخائر العزبة ..
للذخائر تحمل المسؤولية وتقبل النقد .. وبسيرة نقد الإيجابيات
بناءً وصحاً يرفع للعلم الخلق ..
للذخائر تحب البناء لها بلا تفرقة أو عجز .. تفكر بكل واحد
وكانه وحيداً .. وفي صحته أو مرضه ، قوته أو ضعفه ، قربه أو غيبته ..
للذخائر الصبر الخوف .. يظهر الحب والحنان للذخائر والعفاهة ..
للذخائر تحب الأهل ، وتقبل الرحمة والحنان من الجار ، تحب الضيق
ومعارف والأهل أبنائها وكأنهم أضيق أرواحها ومعارفها ..
للذخائر حنيفة وراحية ، واسعة الأطلال ، تقرأ فتاوى ما تقر .. تسمع
وترى فتحل ما تسمع ، تضيء رايها وتسمع للآخرين ..
لأن لها تفكيراً سياسياً واجتماعياً موضوعياً والذخائر تحب الوطن
أحبها للبناء لها بلا مصانع وللذخائر ..
للذخائر تحب الحب لأحب ..

أهديها لهذا الكتاب

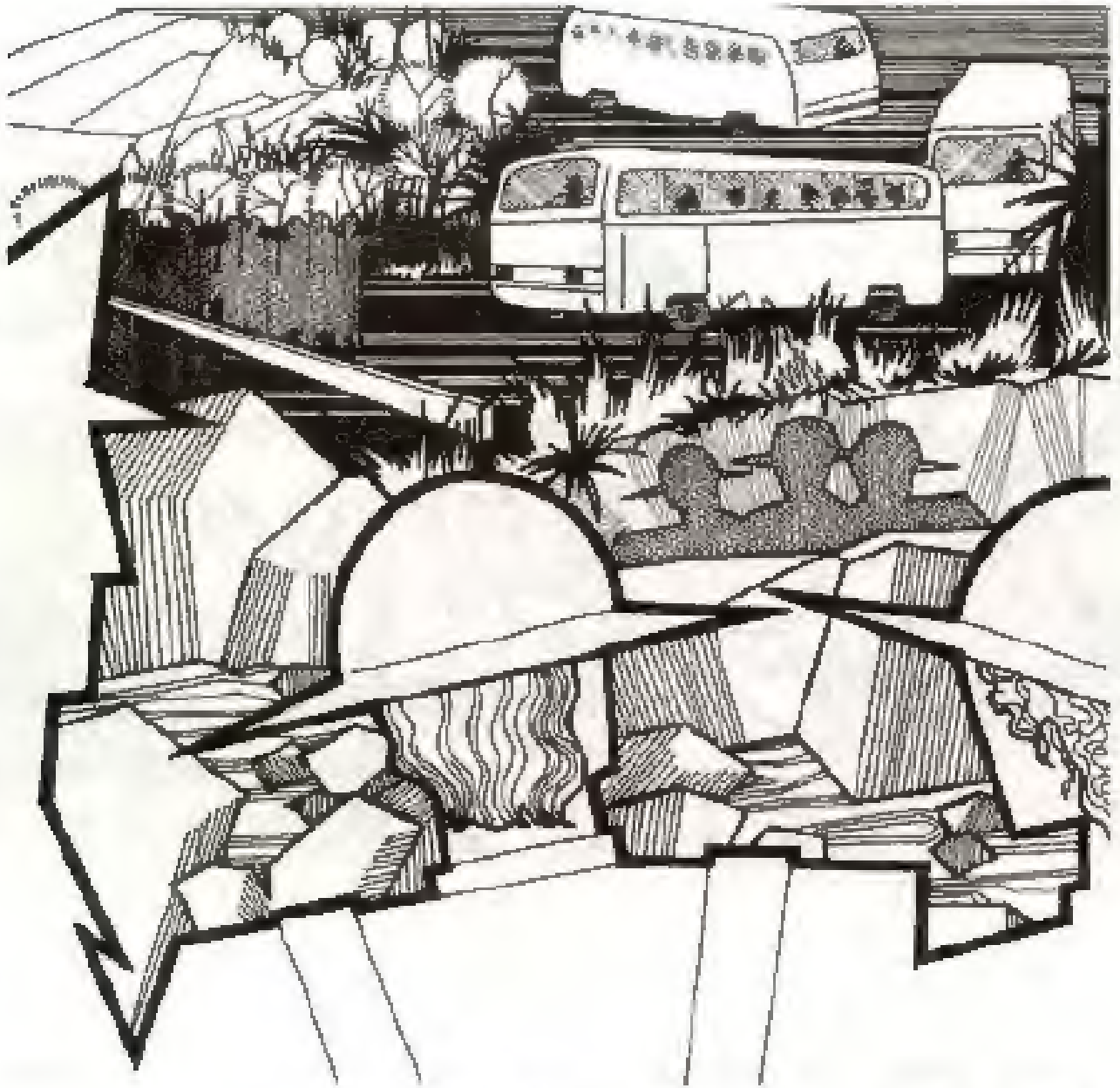


﴿ ١ ﴾

فجأة... إذ بالفرامل تضغط بقوة.. وإذ بالحافلة تتوقف دفعة واحدة.. وإذ بالطلاب يندفعون إلى الأمام، بينما يتدافع الطلاب الواقفون حتى يسقطوا فوق بعضهم البعض..!!

ما الذي جرى يا ترى؟
كانت الحافلات الثلاث تحمل التلاميذ في رحلة إلى الجبال القريبة من مخيم الدهيشة، وكان الطلاب الذكور في حافلة والبنات في حافلتين، قد انطلقوا من مدارسهم في رحلة مدرسية للتعرف على الطبيعة..
وكانت حناجر الفتيات والفتيان وأكفهم لا تتوقف لحظة واحدة عن الغناء والنصفيق،

وفجأة، وبينما هم في مروج ومروجٍ إذ بالفرامل تُضغَط والحافلاتُ تتوقفت والطلابُ يتدافعون وقد تحولَ الغناءُ الى صراخٍ..
قال السائق: لا تخافوا.. اجلسوا في اماكنكم.. فالأمرُ بسيطٌ.. حاجزُ اسرائيلي مفاجيء اوقفنا للتفتيش وسنواصلُ المسير بعد دقائق..



أطلقَ الجنديُّ الاسرائيليُّ من البابِ فقالَ السائقُ يهدوءٍ:
هذه رحلةٌ مدرسية، وهذا هو الإذنُ والتصريحُ بالرحلة، وما هي قائمةُ بأسماءِ المعلمينَ والمعلماتِ المرافقين.. وأسماءِ الطلاب..
ولم يستمعَ الجنديُّ للسائق.. بل أشارَ للتلاميذ بيده وطلبَ منهم النزولَ من الحافلة فوراً..
واوجستِ المعلماتُ خيفةً من الأمر.. وأخذنَ يبسطنَ ويفرغنَ في سرهنَّ الآياتِ القرآنية ليتلطفَ اللهَ بهن وبطلابهن أمامَ هذا الحاجزِ الاسرائيلي..

وتدافع الطلاب للتزول .. كانوا يفيضون حماسة وسعادة وبراعة .. ولذلك كانوا يتصايحون ويتدافعون .. كل يريد التزول أولاً .. وما أن اندفعت أول مجموعة خارج الحافلة حتى صرخ الجندي الاسرائيلي بهم قائلاً:

- انتم .. ايها الاطفال الوقحون .. الا تتعلمون النظام ايها؟

انتظموا في الصف .. هيا .. التزموا الصمت .. أولاد عرب وقحين ..!!

ذهل الطلاب وحاولوا الانتظام والسكوت .. ولكن مجموعة أخرى من داخل الحافلة كانت لا تزال تتدافع للخروج .

هل يعصي هؤلاء الطلبة أمري؟؟ يغيظونني؟؟ يضايقونني؟؟ ودون تردد أخذ الجندي يطلق الرصاص على أرجل التلاميذ وفي الهواء ..



غابت الابتسامة وعم الخوف والرعب نفوس الطلاب .. وارتعت سناء عبد الكريم على الأرض وتدفق الدم غزيراً من رجلها .

في تلك الانباء كان سعيد عبد الكريم لا يزال في مكانه في الحافلة الثانية .. وقرب الأستاذ خالد والطلاب يراقبون ما يجري .. ولما رأى سعيد أخته سناء وقد ارتعت أرضاً أخذ

يصيح:

- أختي .. أختي سناء ..

وفي ثوان حمل سعيد أخته سناء وعان إلى مقعده، ودسها يسيل على ملابسها وملابسها ..

ونظّم الأستاذ خالد حمل المصايين إلى الحافلة للانطلاق بهم إلى المستشفى.



هناك في مخيم الدهيشة، كان كلُّ شيء على ما يرام.. يائس الخصار.. محل التوفوتية.. دكان أبو سعيد البقال.. محل الكهرباء.. والناس تشتري وتبيع.. وغجاة.. ووقت الحافلات الثلاث في الشارع الرئيسي.. وتعالى صياح الطلاب والطالبات.. وفي لحظات خرج الرجال والأولاد من دكاكينهم.. والنساء والأطفال من بيوتهم.. وأقبلوا على الحافلات لمعرفة خبر عودتهم المفاجيء..



واطلّت أم سعيد تبحث عن ابنتها سناء فلم تجدها.. وسألت سعيد عنها فلم يجيبها.. وتداقعت النسوة كل تريد أن تظمنّ على ابنتها أو ابنتها.. وهاج المكان.. وتعالى الأحاديث.. فما هو المخيم يتعرض لحادث اعتداء جديد يضاف إلى سجل الاعتداءات التي يتعرض لها كل مدة..

وبينما الوضع في قمة الغليان، إذ بسيارة من سيارات الشرطة العسكرية الاسرائيلية تدخل الشارع الرئيسي صدفة، وتقترب من هذا الحشد الهائل ولقد رآه السائق نفسه أن يعود أدراجه.. ولكن وفي اللحظة نفسها، كان سعيد عبدالكريم وزميله عيسى عبد ربه وبعض الشباب يحملون الحجارة ويلقونها على السيارة...!!



وتحسّ الشباب واستدارت السيارة في الحال وأنهالت الحجارة كالطر عليها، وغابت
عن الأنظار..!!

وأحسّ عيسى وسعيد والأهل ببعض السعادة والارتياح.. فقد انتصروا على رجال
الشرطة المدججين بالسلاح. وقد عادت السيارة العسكرية من حيث أتت ولم تجرؤ على
الوقوف ثانية واحدة..

ولكن.. وبعد دقائق، إذ بعشرات السيارات العسكرية تدخل الشارع الرئيسي في
المخيم، وتطلق أبواقها على أعلى موجة!!

ورأى السكّون على الجميع.. وأطل من السيارة الأمامية عشرة رؤوس.. يحمل أحدها
مكبراً للصوت، ويحمل الآخرون قنابل ومبارق، قال الأول:

- إعلان إلى أهالي مخيم الدهيشة، عودوا إلى بيوتكم حالا.. فُرض منع التجوّل في
المخيم من الآن وحتى إشعار آخر..

وضربت أم سعيد بيدها على صدرها وقالت:
- لعنة الله عليكم.. منع تجوّل وإلى إشعار آخر! يعني إلى متى؟.. أسبوعاً؟ أسبوعين؟

وابنتي سناء تبقى في المستشفى لا أزوجها ولا أطمئن على رجلها المصابة!
- يمه يا سعيد، خذني الآن إلى المستشفى..

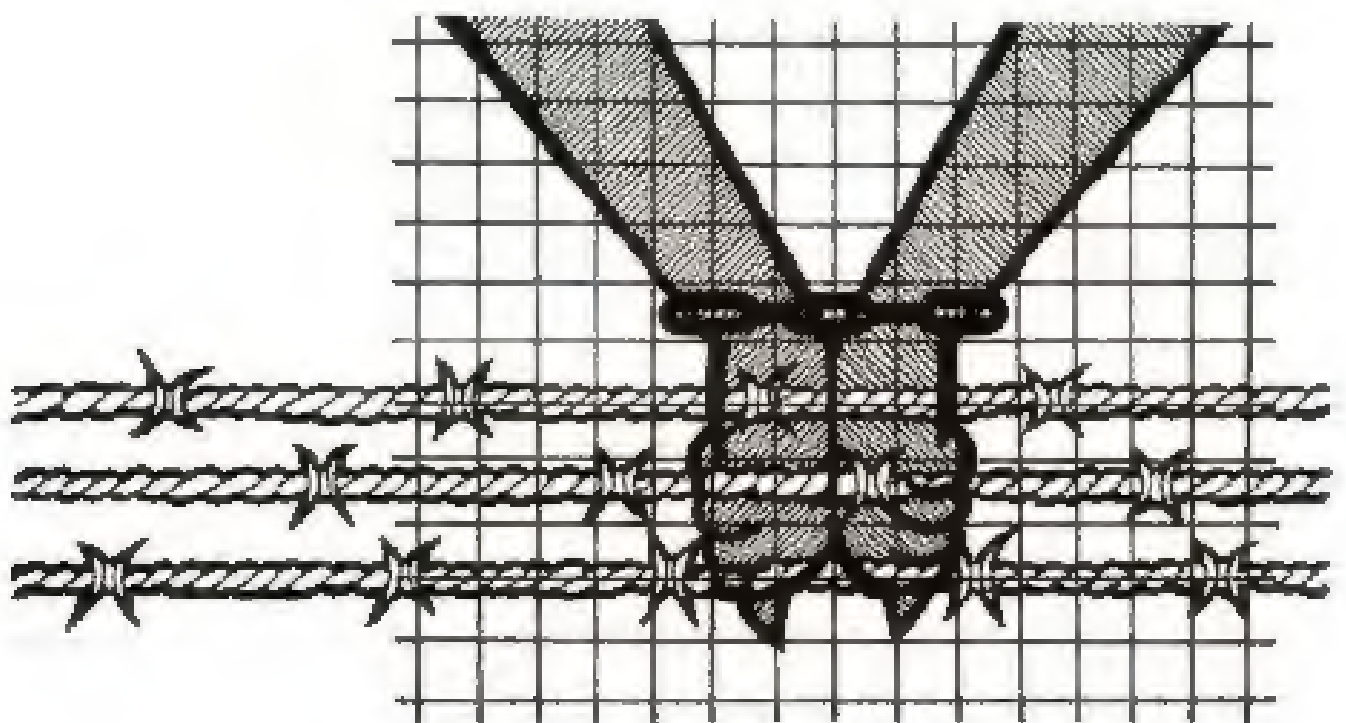
وأعاد الشرطي حديثه بصوت أعلى وأعلى..

- إلى بيوتكم حالاً.. أفضلوا الحلات، أوقفوا الحركة، هيا تحركوا.. هيا تفرقوا.. وقبل أن ينهي كلامه، كان رقيقته يلقي قبلة بين الجموع هنا وهناك.. قنابل مسيلة للدموع، وفي لحظات بدأ الرجال والنساء والأطفال يدمعون ويعطسون وتسيل أثوابهم.. وأما رجال الشرطة العسكرية فكانوا يلبسون الأقنعة البلاستيكية ويدفعون الناس بأعقاب بنادقهم وعصيهم..

دخل أبو عيسى عبد ربه إلى دكانه، وبسرعة اعتاد عليها، أدخل البضاعة التي في الباب، وأقل الدكان، وانسحب إلى بيته يجر أم عيسى.. وتحرك بعض الأهل بهدوء وانسحبوا إلى بيوتهم يضعون المناديل على وجوههم.. ولكن البعض وقف متحدياً القرار، ينظر إلى الأرض مرة، وإلى وجه العسكري بقناعه البلاستيكي مرة أخرى.. وشجاة وبعد تردد، إرتفعت بعض الأيدي ترمي الحجارة على السيارات والرجال..

وأرتفعت البندقية في يد الشرطة تطلق الرصاص على الجموع..

كان سعيد عبد الكريم ينظر إلى البنادق في يد الشرطة والحسرة تأكل قلبه، فكل الأمر متعلق بهذه البندقية.. كل التحكم والإذلال والتجبر مركز في قوة هذه البندقية.. سناء وصديقاتها أصبن بهذه البندقية.. الرجال والنساء يتحركون ويعودون إلى بيوتهم مكسوري الخاطر، مهبطي الجناح، بسبب هذه البندقية.. ليتني أحصل على مثلها.. ليتني أمسكها.. ليتني أستولي عليها.. فواحدة من تلك البنادق تساوي ألف حجر.. بل تساوي عشرة آلاف حجراً..



اندفع عيسى إلى الامام بلا تردد ولا تفكير.. وهجم على الشرطي يأخذ منه بشدة..
ولما رآه صديقاً سعيد وحيداً بين أيدي الشرطه اندفع هو الآخر لنجدة.. وفي خلال ثوانٍ
كان ما لا يقل عن العشرين شاباً من شباب المحيم مقيدين بالسلاسل ويساقون إلى
السجن..!!

* ٢ *

هناك في السجن وبعد أيام.. التقى الأستاذ خالد مع الطالبين سعيد عبد الكريم وعيسى
عبد ربه.. كانت الأمهم واحدة.. فلقد أشبعوا ضرباً بالعصى والهرات الثقيلة.. وكانت
ذكرياتهم واحدة مليئة بالمآسي والاحزان..
قال الأستاذ خالد:

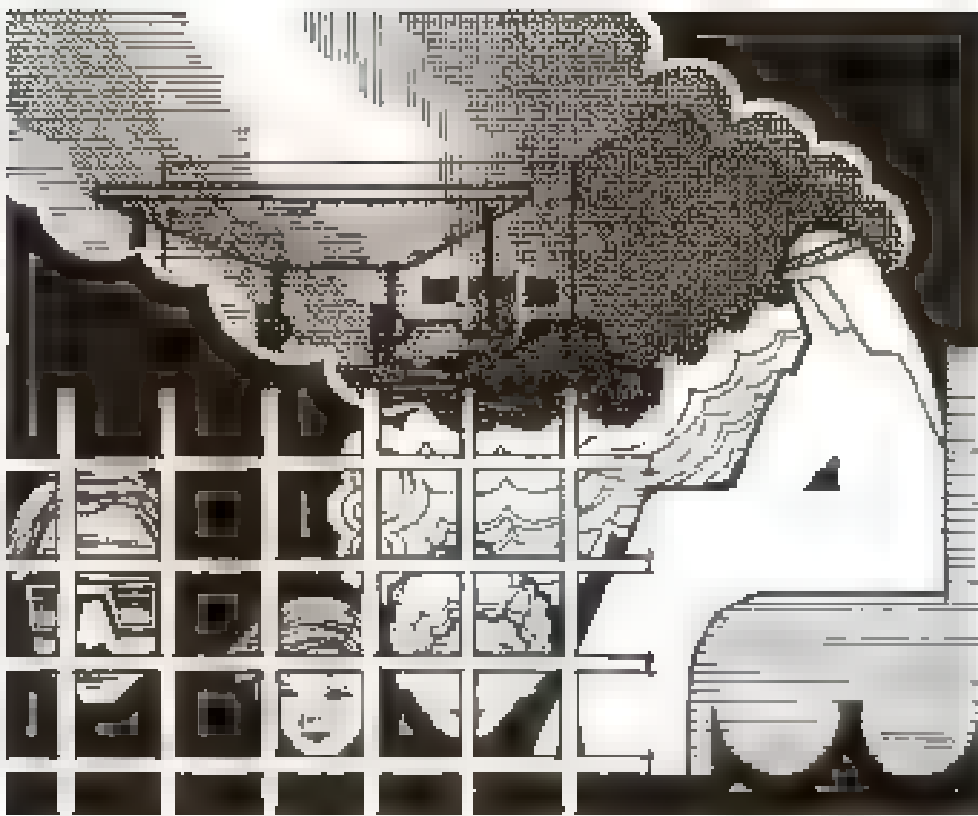
(١)
- هذه ليست أول مرة اتعرض فيها لهؤلاء الشياطين.. أتذكرون عندما دخلوا مدرستنا
قبل ثلاثة أشهر؟ يومها أوقفونا جميعاً، الأساتذة والمدير، وطلبوا منا المشي على أيدينا
وأرجلنا والنجاح كالكلاب.. واين؟ في الساحة، وامام من؟ امام الطلاب كلهم..
كاد عيسى وسعيد أن تفلت من صدرهما ضحكة عالية وهما يتذكران منظر المدير
والاساتذة يدورون خلف بعضهم البعض وينبشون كالكلاب.. ولكنهما كتما الضحكة
احتراماً للأستاذ..
واكمل الأستاذ حديثه:

وازداد الأمر صعوبة عندما أعطونا اغصاناً رقيقة من شجر التوت وطلبوا منا ضرب
بعضنا البعض.. تصوروا.. بالتناوب كل معلم بضرب زميله ومديرة بالعنف الذي يرضي
الجنود بينما هم يضحكون ويقهقهون لمقارنتنا واذلالنا..

قال سعيد:

- بسيطة يا استاذ.. الضرب والاهانة غير مهم يا استاذ.. ام كنا نحسب انهم
سيحتلون بلادنا ويحبوننا ويدلوننا.. لكن المشكلة بالنسبة لي كانت أبي.. أبي الذي لم
يتدخل يوماً في السياسة.. أبي الذي كان كل شيء تامين لقعة العيش لامي ولأسرتنا.. لن
انسى منظره وهو يبكي كالنساء.. عندما اقتحم المستوطنون محطة الوقود التي كان يملكها،
وأحرقوها عن يكرة أبيها، أبي لم يستطع يرمها ان يتحرك عن كرسيه.. وهو لا يزال إلى
اليوم مشلولاً لا يتحرك من هول المصيبة..

(١) حادث حقيقي تم في مدرسة للذكور في مخيم الدهيشة قام به الجنود ضد الاساتذة والمدير عام ١٩٨٢



مضت سأم وأسايح، والشباب الثلاثة في رباتهم لا يرون أحداً من اقربهم ولا يخصر لريارتهم أحدٌ لم يسمعوا من أحبار المحرم شيئاً واستدأ القلق يسائر الاستاد وصاحبه فالاستاد أصبح قلق عن ربحته وولديه وسعيد حيرته، قلعة اكر وهو يعلم أن والدته لا بد من أن تعمل المستحيل لتزاد، فهل جرى لاحته سناء أمر ما منع وادته من انحصور لريارته؟ أم إن أمه قد ردادت صحتة سوء عن قبل؟ وعيسى كان هو الآخر هفاً عن أهله ووالده ودكان والده من ناحيته وعلى دراسته من ناحية أخرى فالأيام تمر وامتحان التوجيهي قد اقترب وهو هنا لا يدرس ولا يحمل كتاباً كلٌ ادي بعره عن الحصر هو حصنة التعذيب التي يتعرضون لها كل يوم ساعة وساعتين وثلاث، في الصبح أو في الليل لا يهتم ويعودون بعدها منهكين متعبين يحسمون بأمر واحد فقط بسقية في ايديهم ولكن كيف؟ ومتى؟ وأين؟ ومن؟ هذا ما لم يجدوه الختم بعد

وداب يوم إد باحارس يباري على سعيد أن به زيارة ذهب لثلاثة واقفين يسبقون لمقابلته الزائر فيها هو ذا أحد قادم من هناك من المحرم من عبد الأهل كانت زيارة سريعة ولكنها مشحونة بالعواطف والحب والأمل لم يكن الحديث يتعدى السؤال والجواب الواحد كيف حال أبي؟ بحير كيف حال אחتي سناء؟ بحير كيف حال زوجتي صاطمة؟ بحير لأولاد؟ بخير المدرسة؟ فلان وفلان كانوا يدرسون في عشر دهانق أو أقل أن بطعنوا على كل اسباب وكان وحده في محرم الدهشة بينما

كنت أم سعيد تريدُ هيَ لآخرى أن تطعنَ عليهم وعلى روحهم المعوية وأوصاعهم هنا في السجن

وأقبل الحارسُ يُدهي انقذلة التي مدت لهم عشر ثواب لا غير فعد طوب أبيعاد يصبح البقاء فصير مهما حال رحلت أم سعيد الحارس أن يتركها خمس دقائق أخرى استعطته، نكث أمانة ونكته شارب ليها بطرف بدقته الممسة فأسحبت يدها

بعد حوالي ستة أشهر دخل مؤ اسحر يُعلن لهؤلاء، الثلاثة الاعراع عنهم مكفلة مالية مقدرة بعشرة آلاف شيكل . ادا عاد أحدهم لصديقة انحبوس الاسرايليين أو القيام بالمصاهرت. أو حتى التحدث ضد الاحتلال الاسرائيلي مهما كانت لأسباب نظر كل فرد الى رصيلة نظره عميقة ويطروا الى استئذسات واندادو التي يحجبها الحرس والشرطة..

استقبلت الأمهات وأهل نحيم اسمها الثلاثة بالعاريد والأعاسي والأهاريج . توجه الاستد حاد وقعت مع ولديها الذين لبسا ملابس العيد وأحدث ترش الورد وماء لورد على حموع الدس . وأم سعيد أحدث تورع النسي كولا والشرب على أهل انحيم فربح بعودة اسها . ونسب سماء نمسي على عكارتين وتعاقي أحاف سعيدة . أم أم عيسى عند دمه بعد وقعت مكسره الحاضر في آخر الحموع وكتب بحل من اسلام على اسها



وعجب عيسى من موقف أمه كأنها لا تهتم به كأن في السبع أم كس خارجة لماذا يا ترى؟ وتساغل في نفسه أين والدي لا أكا أراه أترأه هو الآخر لا يهتم من امري شيء.

نظر عيسى في كل اتجاه يفتش عن أبيه حاول أن يظفر إلى داحل الدكان، لكنه يراه في دكانه يبيع الزر أو السم من لاجد الياش ولكن لم يجدّه أيضاً وعاد يظفر إلى أمه ابواقفه بكل اكسار وحرر قرب الحائط بسألها بعينه عن أبيه ولماذا لا يستقبله. ولم يجد جواباً من وحد دعواً عريضة تعلل الحدين.

أقبلت الأم بحمصن أسها وبجيش باليكاه وأوقفت روحه الاستاد حالك رش الورد وبوقفت الأيدي عن تناول شراب اسسي، ولتف الحيران حول عيسى وأم عيسى وهي تقول

وانك يا نبي استشهد، قتله اليهود هب على باب دكانه اطلق عليه الرصاص من سادقهم فسقط دون جراك.

كان موقفاً مؤلماً وحزيباً ولكن سگان المحيم وقعوا يواسون الأم والابن يا أم عيسى، من حلف ما مات، و... من مات دون ماله فهو شهيد. واسو عيسى خلف عيسى ربة الشهاب وقد مات دون ماله فهو شهيد، والأعمار بيد الله فلا تستنسي والبركة في عيسى

تسلّم عيسى الدكان مكان والده العريز وانقطع عن الدراسة واصدقاء المدرسة ولكنه كان يلتقي باستمرار مع زميلين اثنين فقط هما الاستاد حالك وسعيد عبدالكريم



مرت أيام وأسابيع جاء بعدها الاستاد حالك مسرعاً إلى دكان عيسى عبد ربه ومعه سعيد عبدالكريم دخل الاثنان وأقبل عليهما عيسى يرى في عينيهما حراً سعيداً لا يستطيعان كتمان

قال الاستاد حالك

لقد وصلت إلى طرف الخيط، اعتقد أنك ستصل

هتف عيسى

- كيف؟ ومتى؟

قال الاستاد حالك بهدوء وبصوت خفيض

- في القدس من القدس، من أحد حراس معهد ديني هناك



قال عيسى

- اتعني أنّ الحارس سيعطينا مديونة؟

نعم سيبيّعنا إياها، يبيّع لك البندقية

- والتمنّ

- لم تتفق بعدُ ولكنه ما بين

٥ - ١٠٠٠ دولار امريكي

واطبق السكود عن الشبان الثلاثة، كلٌ يفكر من أين سيحصلُ عن هذا المبلغ الصخم، ولكنها فرصة العمر فرصة استظروها شهر، واشهرًا حلّم عاشرو عن امر تحفّضه أيام لدن العصبية داخل السجن وخارجة ألف دولار ويحصلون على بندقية من جندي سرائيلي ١٩٩٢ يا مرحى يا مرحى اقترت الأمن، فرصة لا تتكرّر في العمر مرتين المهم تدبير المبلغ

قدم عيسى الى درج اسقود يعّدها وينحسّسها حوالي اربعين ديناراً اردنياً وبالدولار يعادل مئة دولار وتريد قليلًا بداية لا بأس بها اعصى الاستد خالداً ثلاثين ديناراً، ابقى العشرة في الصندوق - قال

- هذه هي البداية اذا انت بجمع المبلغ وكلّم تومر دينا ملّح سمعك ايّه بتوليره...

ومما هم يتحدثون، اذ بصوات عجلات السيارات العسكرية تملأ لائق واريز الرصاص بحرق الآذان، وحتار الثلاثة بأمرهم ولم يدروا هل يرحلون أم يبقون داخل الدكان

في لحظات اشهرت لسيارات عسكرية في شوارع الحيم، وانتشر الجنود الاسرائيليون في كلّ دكان ومنّت ومدرسة على طرفي الشارع، واقتحم عشرة جنود دكان عيسى عبد ربه ورموا بسعيد خارج الدكان، ثم صزبوا الاسبان جالداً على وجهه ورموه هو الآخر أما عيسى الذي كان لا يزال يقف قرب الدرج وبمسك الدمانير العشرة فلقد ناداه الجندي قائلاً

- وانت، ماذا تفعل هناك؟

- انا صاحب الدكان

- عظيم عظيم كم معك من اسقود داخل الدرج؟ هاتها هب النقود كلّها

ثم التفت الى كس نُرّ ويطرف بدقته سدك الكس على الأرض وقت كل ما فيه،
ول كان بالقرب منه كرتوماً ليص غلقاً قسها هي الأخرى إلى الأرض وهو في الرد
وصرح فملاً

يقول لكم انركوا هذا المحيم انركوه ورحبوا عنه وعنّا هنا اعنق دكانك واصرف
إلى بيتك

تحرك عيسى واعنق باب دكانه ومشى إلى انشروع ولم يكد يستعد بصعة امتار حتى
سمع انفجار كبيراً نفع إلى الراء وراحى اسيراب العسكرية ظههم النيران
أسفها



كس عيسى سيره بكل هدوء كما لا يعنيه الأمر في شيء وحس إلى بيته وحس إلى
أمه بكل برود يسألها

- هل عدل ما يكفك من الأكل والشرب هذه اسوع او اسوعير؟

- ماذا؟ ماذا حصل؟ ما هذه الأصوات؟

لا شيء لا شيء انهم أنهم أحدهم من عشرة دسبر لاوعد بني ليتني

ثم حسب لا يريد أن يقول ليتني اعطيها بالاستاد لسروعا لمسطر

قالت الأم ماذا حصل احسنى او اذهب بنفسى لأرى ماذا حصل

قال عيسى-

- لا تذهبي عشر سيارت أو أكثر خمسون حدياً أو أكثر اسشروا كالقطط المسبوسة يحملون نادقهم واسلحتهم

سكت برهة ثم عارب لقول وكبه سحب المظر تابه

- ولكن أحد اشعب العرب كان مُحَبَّر لهم معجزة رائعه لقد فاجاهم برجاجة عيسى لذيذة

انقصت الأم وابتعدت عن عيسى فائلة

- ماداء هن تعبي أن أحدا قدم لهم العيسى تعاون معهم

وهن عيسى في الآن أمه

لا رجاجة عيسى ساحة لا ماردة لا دري من أين وكيف رماها فقد كنت مشعولا بعيسى وبذكائي ورجاة سمعت لانهجار ورأيت الحبور حميع يتراكصون ، والله كان منظرهم مسلماً حدا سيارتهم العسكرية تحترق وهم يتركصون معرفة الحاسي ويصعد السيارات الأخرى كانت رجاجة لذيذة حقاً فيها كثر وبار وصحت ثم عيسى يديها على حديثها وقالت

- مصصة من سبعتبور الآن ما ترى.. ومن سيأخذون الى السحور؟

واحصنت اسب عسى كنها تريد ان تحمي كانت لا تريد ان يأنحود الى السحر مرة حوى، فهو الآن رب العائلة

مرت الايام ومنع الجول مفروض على المحيم شكل حارم لا يخرج من بينه احد ولا يدخل من ابواب المحيم احد وكان عيسى يمشى كل صباح وبحلوس في ساحة الدار لا يعمل شيئاً لذلك وبعد مدوء الوصع قللاً فرر بدهاب الى اقرب بيت من اصدقائه بيت صعيد لرؤيته والتحدث اليه

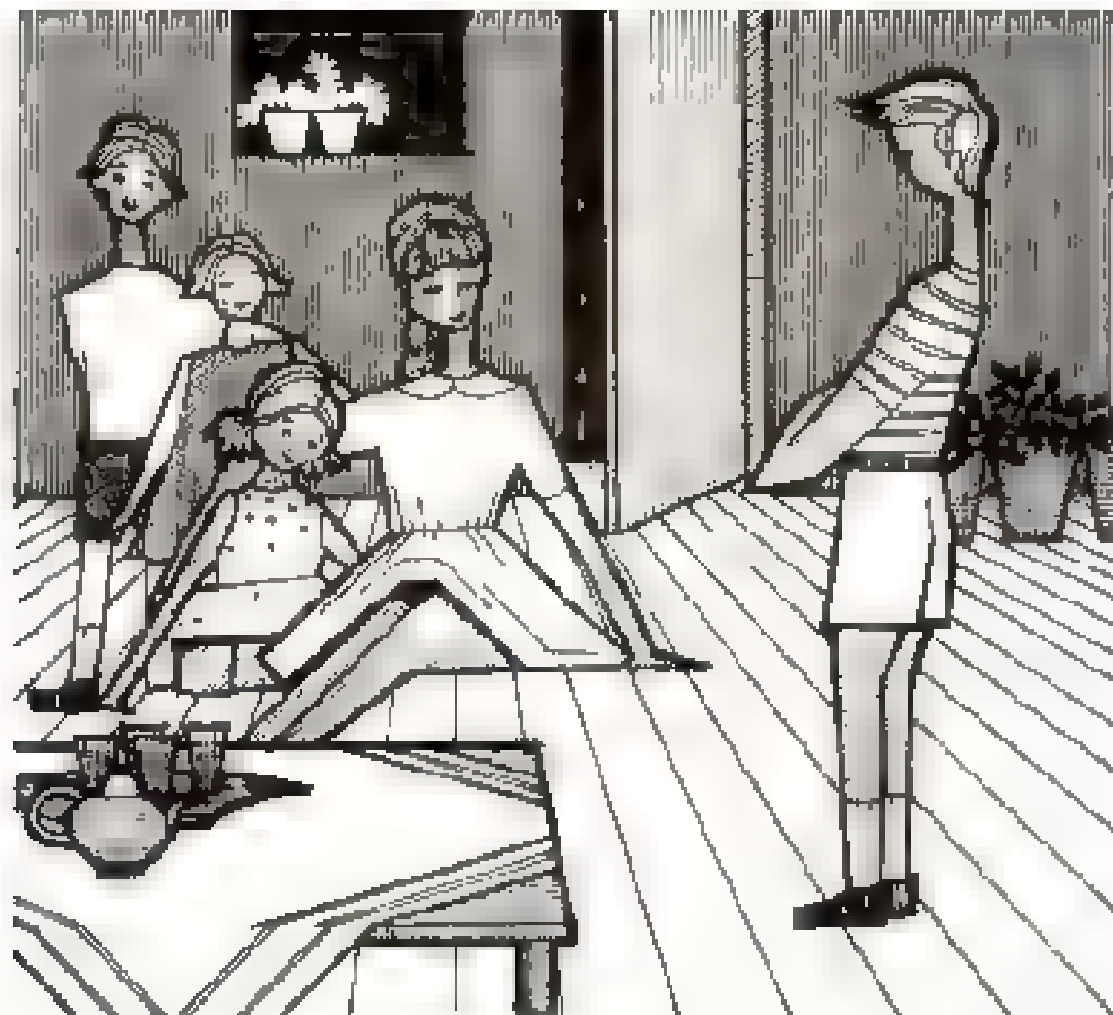
دق عيسى باب الصباح بيده فخرجت سماء قال عيسى في نفسه

يا صباح الخير ما اجمل هذا الصباح

- صباح الخير يا لخت سماء.. هل سعيد هنا؟

- ألم تدر أنهم قبعوا عليه وعلى امي ايضاً؟ ألم تعلم أنه منذ يوم إلقاء القبلة الحارقة على السيارات العسكرية جمعوا حواي سنة وثلاثين شائاً سوتهم حول المنطقة ومن بينهم احي وامي..

واحسنى صوت سماء بالغررت وحوت أن تحلي صعيد لعناب أمها وأحيها عن الدار



قال عيسى سهفة

- ومن يساعذب في حمل مسؤولية والدك وأخوتك ؟
وردت العبرات، وأمهزت الدموع من عيني سناء وقالت أنا بوحدي
استحب عيسى عنداً الى والدته سار في الطريق يهتف في هذا الزمن الذي يحق من
الأطفال رجالاً ونساء يتحملون المسؤوليات الحسيمة هو وقد أصبح مسؤولاً عن عائلته
معه وأخوته بعد وفاة والده وسناء وقد أصبحت مسؤولة عن عائلتها - والدها لعاهر
وأخوته الصغار عدا عن مشكلتها الكبرى في غياب والدتها وأخيها، ما أروعها وما
شظرف

* * *

حملت أم عيسى طحيرة الرز ولعديس «المحدرة» وأحدها في بيت سناء كانت سناء
تجلس مع أخوتها الصغار في ساحة الدار فلما دخلت أم عيسى حملت القدر «الطحيرة» قدم
الجميع نحرها وقالت سناء

- حالني أم عيسى «كيف وصلت ان هنا» وبدا

قالت أم عيسى

- من بين سيوت من بيت لبيت ومن سور الى سور فلم يكن من الممكن ان أترككم

«وَأَنْ أَطْمَئِنَّ عَنْكُمْ بَعْدَ أَنْ عَلِمْتُ حَيْثُ أَعْتَقَلْتُكُمْ وَأَحْبَبْتُكُمْ
وَارْتَقَبْتُ سَبَاءَ عَلَى صَدْرٍ جَارِقَتِهَا أُمُّ عِيسَى، وَاحْتَصَصْتُ أُمُّ عِيسَى سَبَاءَ وَالْأَوْلَادَ وَقَالَتْ
- لَا تَحَامُوا هَئِنْتُمْ أَسَاتِي وَلَنْ أَتْرُكَكُمْ

خُصِبَتْ سَبَاءٌ بِصَوْتٍ تَحْلُوهُ الْعَبْرَتُ وَقَالَتْ:

- لَمَّا رَأَى حَكَمُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِهَذَا الْعَذَابِ يَا حَالَتِي أُمُّ عِيسَى لَمَّا دَا سَفَى هَذَا لَا تُجَسُّ بِالْأَمْسِ
وَالْإِسْتِقْرَارِ يَوْمًا وَاحِدًا - مِنْذُ صَحَوْنَا عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا وَبَحْنُ سَعْرَصُ لِمَصَائِقَاتِ الْبُيُوتِ هَلْ
تَذَكَّرِينَ مَحْطَةً ابْنِ قُرْدٍ الَّتِي كَانَ يَمْلِكُهَا وَالَّذِي خَرَقُوا وَحَرَقُوا مَعَهَا كُلَّ أَمَالِهِ وَاحْتِلَمَهُ
وَبَرَكَوهُ لَا هُوَ بِالْحَيِّ وَلَا بِالنَّيِّتِ وَبِ- كَذَتْ أَصَابُ وَأَفْتَلُ بِرِصَاصِهِمْ بَيْنَمَا كُنْتُ فِي رَحْبِهِ
عَادِيَةً يَقُومُ بِهَا كُلُّ أَطْفَالِ الْعَالَمِ وَأَحْيَى سَعِيدٌ أَصْحَى أُنَامُ السَّحْنِ الْآزَلِي وَعَادَ الْيَوْمَ
بِالْإِعْتِقَالِ هُوَ وَأَحْيَى دُونَ خَرَبٍ لَمْ يَتَدَخَّلْ وَلَمْ تَرْمِ الرِّيحُ الرِّيحَةَ الْخَارِفَةَ

وَبَيْنَمَا هِيَ تَتَحَدَّثُ بِ- بِالصَّوَابِ بِنَفَالٍ مِنَ الْخَارِجِ - صَوْتٌ غَيْرُ مَعْقُومَةٍ تَدُورُ وَكُنْهَا
تَقْتَرِبُ مِنْ قَبْلِ سَبَاءَ

أَطْلُ الْحَمِيصِ لِيرَا مِنْ أَلَدِي بِخُتْرَقٍ قَاسِرٍ مَعَ أَشْجُورٍ وَيَتَحَرَّكُ فِي لُشَارِخٍ وَإِدْ بِهِمْ
يَهُودُ الْعَجَبُ - إِبْهَمَ لَيْسُوا مِنْ سَكَّارِ الْحَمِيمِ - بِهِمْ يَهُودٌ يَصْعُقُونَ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّاقِيَاتِ
أَشْجُورٍ وَمِرْتُونٍ لِحَدِّهِمْ، كُلُّ لَحِيَةٍ تَصِلُ إِلَى صَدْرِ صَاحِبِهَا، سَوْدَاءُ مَسِيصَةٌ وَكَانَ يَتَفَدَّسُهُمْ
شَحْصٌ كَرِيهٌ الْمَطَرُ لِحَيْتِهِ أَطْوَلَ نَحِيَةٍ يَحْمِلُ رِجْمَهُ أَوْدَاقُ كَبِيرَةٍ يَرْمِي بِهَا رِجْمَهُ وَرَفَهُ إِلَى كُلِّ

قَبْلِ رَكْلٍ «تَسَاكِيَّة» يَمْرُوقُ بِهَا وَفَدُ تَسْلُ أَحْوَسَاءَ الصَّغِيرُ إِلَى نَاحَةِ الدَّرِّ وَاحِدِ الْوَرَقَةِ
وَعَادَ بِهَا إِلَى سَبَاءَ لِنَقْرَاهَا وَقَرَّتْ سَبَاءُ بِصَوْتٍ عَالٍ (١)

«إِلَى لَأَحْيَى يَهُدٍ وَالرَّمْلَةِ وَسَائِرِ الْأَمَاكِنِ فِي «دَوْلَةِ إِسْرَائِيل» إِلَى سَكَّانِ مَخِيْمِ
الذَّهَيْشَةِ اسْمُ الذَّهَيْشَةِ أَشْبَهَرُ فِي جَمِيعِ أَمْجَاءِ الْبِلَادِ بِأَلَدِي يَرْمِي الْحَجَارَةَ عَلَى الْيَهُودِ
بِأَسْكَارِ الذَّهَيْشَةِ، بَحْنُ سَادِكُمْ أَنْ تَقُومُوا وَتَتْرَكُوا هَذَا الْمَحْتَمِ أَنْهَضُوا وَانْقَلَبُوا إِلَى
أَمَاكِنِ أُخْرَى، وَاعْمَلُوا عَلَى الْمَشَاعِيرِ الْقَتْلَةِ وَالْمَحْرَصِينَ وَالْحَرَبِيِّينَ
يُوحِوهُ إِلَى أَسْطُطَاتٍ وَأَطْلُوهُ أَسَاعِدَهُ بِسَهْلِ الْإِسْقَالِ

«حَرَّجُوا مِنَ الذَّهَيْشَةِ مِنْ حُلِّ السَّلَامِ وَمِنْ أَجْلِ حَسَنِ الْجَوَارِ أَخْرَجُوا مِنْهُ وَالْأَ
اسْتَقَمَّا مِنْكُمْ».



ولم تكمل سناء قراءة المشور
لنهودي . بل لم تلاحظ أنه
يساعدها على تحقيق ما كانت
تتحدث عنه قبل قتل الرحير
وترك هذا المحيم بمشاكله
وماسيه . ما هم يقولون لها

أنا وكل شهرة يستطيع الاتصال بالسلطات لاسرائيلية وهم سيسهلون بها الانتقال الى
حار - المحيم الى منطقة اكثر اما وكثر استقرار الى منطقة لا يلاحق اسأوها حدود
الاحتلال ولا يلاحق حدود الاحتلال ابدا . الى منطقة يعود بها ساء الى طفولتها ولى
مدرستها ، ويعود ابرها الى صحنه وعافيه ويعود سعيد بحصنها ،ها كل بيلة قبل
اسوم وعند الصباح .

سارعت أم عيسى وأخذت الورقة المشور من يد ساء ومرقتها إرب إربا ، انطقت الى
البحارج دمي بنقصاصات على رؤوس مور عيه من أنها رأت العشرات من الحيران
المحيطين ، يرمون بالواق على مرسلتيه بل وفي جوار ايضا كانت عشرات الحجارة
ترمى على رؤوس هؤلاء

عادت أم عيسى الى بيتها وأخذت تحدث ابها غملة
يا عيسى يا جانفة على ساء كثيرا لم يفت حالها ينعمني ، قد أثر عليها سجن
والدنيا واحيها كثير جد وكل يوم تنتظر خروجهم من السجن ونقف على باب الدار
ساعدا تنتظرهم في رحوها الصغار هؤلاء الصغار مسكين لا يستطيعون تحطلي
ساحة الدار

اصرق عيسى وهو يفكر ثم قال
رئت نهونى عنيك يا أمي كل امر المحيم بهذا لجال ولكن ما ان نتحمل وإنا

(١٠) هت نصر . خولي ينعمر لهذا ير العي يورعه . مسوطنون مزايطون . ما هذا امر المحيم بعد السكاى هو يرت
المحيم

أن مرحل، وهذا ما يريده اليهود من جنود وشرطة ومستوطنين، أن نوحس لهم تطهير أن
أحدًا سبرجل من هذا المكان
أجبت الأم بسرعة

- لا يمكن أن نرحل مرة أخرى إلا إذا كان لبيوتنا التي تركناها في مدنا وقرب
كل أهل المحيم مصممون على ذلك نحن صامدون بوجودنا حقاً نحن شوكة في حسيهم
إن نحن مضال لا يوجد معنا سلاح، ولكن سلاحنا هو إيماننا بأن فلسطين أرض لعرب
مهما طال الاحتلال وسيعمل على تحقيق هذا الإيمان

جلس عيسى معكراً بأمرين اثنين معاً، البندقية وساء كيف يحصل على بندقية
يبتغى بها من هؤلاء المستوطنين الذين يتجولون في أرض المحيم وعن أبوبه وساء لتي
بدن يميل إليها كيف يدافع عنها كيف يقف معها فلا تضعف أمام مشاكل وصعوبات
الإسرائيليون إنها شقيقة رصيه رفيقه في السحر مهل يتحلل عنها

مرت أمه وعيسى يذهب مع أمه يوماً يوماً يربده ساء وحوشها، تقف مع أحوبها في ساحة
الدار بينما تدخل والدته عندها إلى الدار تساعدتها في الطبخ أو الأعمال المنزلية أو
التطير كانت ساء فتاة جميلة شعرها صغيرة حويلة تزميها جلف ظهرها، عيناها
عسلتان واسعدن بحلة الحصر، معدلة القامة تلبس ملابس موصفة كسكار أهل
المحيم ولكنها نظيفة ومرتب كانت تصنع الشاي بالنعناع، تقف في ساحة الدار وتعاوي
على أحياها الأصغر لمعطيه إبريق شاي مع الكاسات وكان عيسى يأخذ منها الشاي
ويظفر إليها كانت ساء فتاة حولة، ولكنها كانت تصنع أطيب شاي يشره عيسى في
حياته.

بعد عشرين يوماً انتهى منع الحول وخرج سعيد وأمه من السجن وجاء كل
الخيران وعيسى ولأستاذ حاد يهتوبهم بالخروج وصنعت ساء أشهى شاي وقدمته
وهي فرحة سعيدة، وكان عيسى أيضاً مسروراً برؤية ساء والسعادة بعض من وجهها
حتى إنه أقبل يسمع عنيتها بدأ بيد فلم يذر حبها إن كان هناك الطفل وأرق من هذه اليد في
العالم كله!!

وما إن خرج المهندون كلهم حتى جلس عيسى مع سعيد ولأستاذ حاد على فراجه
يكلمون ما يقطع من حديث في المرة الماضية

قال سعيد أخروي ماذا ثم معكم؟ صمتموني هل صمتم في غيابي على البندقية؟
قال الأستاذ خالداً

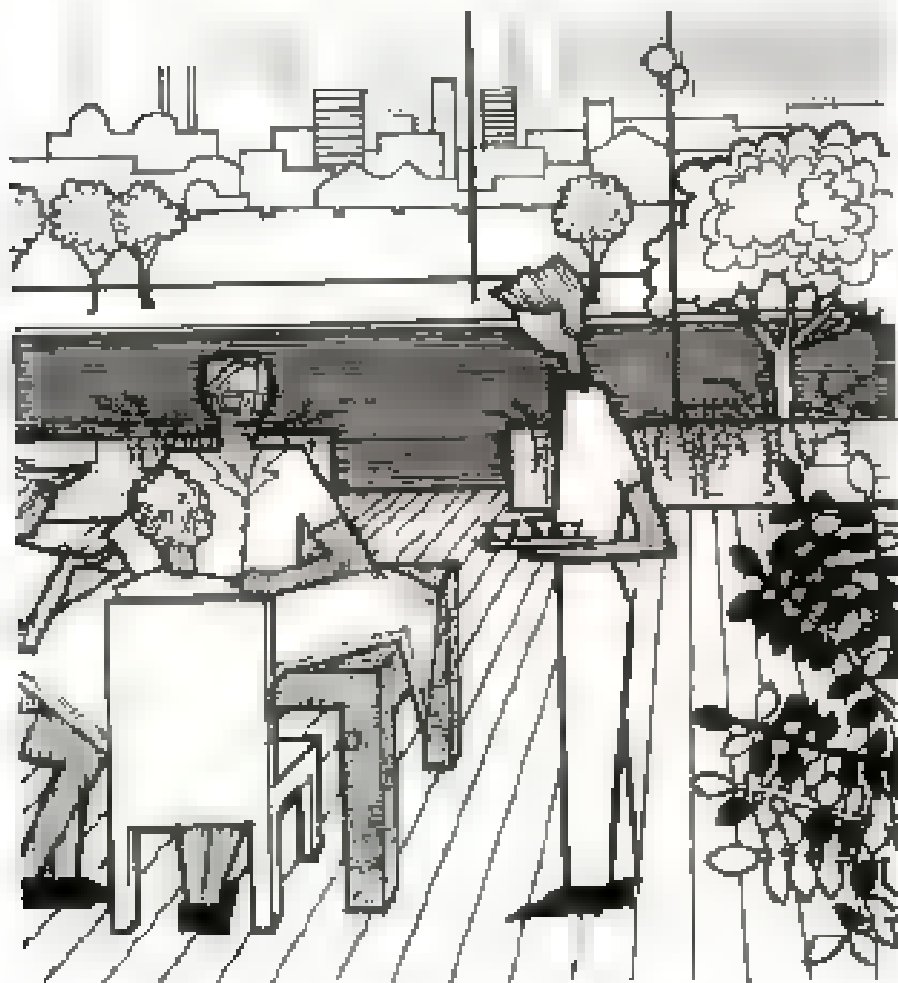
- عن مهنك يا سعيد فقد كنا قد أنفقنا أن نقابل الحارس الإسرائيلي في القدس لكن
منع أشجل الغرض عن المحيم عمل علينا ذلك اللقاء

قال سعيدٌ بغضب

- ولما تقبلُ لحارس الاسرنسلي لما راى لا يمكنُ الحصولُ على اليدينِ دون ان
يجلس معه وتحدثُ وحدثنا؟ أنا لا أسمعُ احديث مع أي منهم بعد كل الذي معلومٌ به
قال الاستاذُ خالداً بهدوءٍ وحزم
- ما تقولهُ مفهوماً، ولكنَّ الضرورات تُبيحُ المحظورات فذُك من هذا الكلام واستعد
عداً للذهاب الى القدس

* * *

في اليوم التالي كان الشَّبابُ الثلاثة يركبون الحافلة استُحِفة من المحيِّم الى القدس
موت الحافلة امام استوطيين الاسرائيليين الذين يُعسكرُون ويحرسون امام باب المحيِّم
لارهاب هله وانعص سعيدٌ عينية لا يريدُ ان يراهم ثم موت الحافلة على مقبرة اهل
لحيم في احد انحبال القرية، وترخَّم لشبابُ عن موتاهم ثم مرّوا امام منطقة حُرْجِيَّة
ركانها مقبرة عام قريبٌ من مدينة يبب لحم، كان بعض اليهود يتمشون في المقبرة وكأنه
مسرحه عشاق الهؤلاء استوطيين الذين يسكنون قُرْب يبب لحم وكان الدار دارهم
والأرض ارضهم ولما وصت الحافلة الى القدس نزل الاسيدُ خالداً أولاً ثم نبعهُ عيسى ثم
سعيدٌ وأنجهوا فوراً الى المقهى الصغير جلس الثلاثة دون حديث، وبعد لحظات قال
خالداً مشيراً الى العمارة المتقبلة للمقهى



- هذا هو العهد الديني الذي حدثتكم عنه وهذا هو الحارس الذي ساعدته
البدقية تلك التي بحمها على ما اعتقد
نظر سعيد وعيسى الى البدقية في يد الحارس وهوى قلبهما بن صوغهما فمن حذ
ستكون من بصيبيهما^{١٥}

كان الحارس شاباً حياً، تدر على وجهه صفرة عربية تحاكي صفرة الاموات ويمتلي
متبطاً كأن به مرساً وكان يلبس الملابس للرسمية الكاكي المرقط وبصم ردا عريضا
على حصره، ويصوب بدقيته تجاه المارة ويده على الرناد وكأنه يقوم بدور تعشبي في عيه
يغز الى ساعته كل لحظة وكأنه يستظر احداً
طبيب الاستاذ خالد ثلاثة حاجين من القهوة (لأمريكية) مألعة العربية فهو يتعجب
كأنه اناها!!

يصف ظل رفيقه ساكنين لا يبسان تحت شفه. وكان الاستاذ خالد يتكلم العربية كأن
حصر ابدان - صبي القهوة - حتى لا يشك بأمرهم احد
بعد عشر دقائق تقريباً رف بوعه تدل الحرس على مبني العهد وحصر حارس
سرايبي آخر فاسحب الأول وأقل على انقهي راحة فورا الى طاولة الشباب الثلاثة
بدون كلام او سلام جلس الحارس الاسرايبي على الطاولة وطلب محلاً من القهوة
لأمريكية قال سعيد في نفسه

هذا افضل لا سلام ولا كلام ولا نحيات - والله لولا اني سأحصل منه على البدقية
ما رضيت أن اتعد يوماً مع سارق ارضي وقاقل شعبي على طاولة واحدة اثرب معه محبات
من القهوة!!

وقطع اصغت صوت الاستاذ خالد يتحدث بالعربية
- مني الاستلام والتسليم^{١٦} قال الحارس
الاستلام أولاً حد ألف دولار ثم أسلمكم البدقية
- وبوعها!!

- حسب ما تريد.. عندي بندق اسراييلية الصنع (عوري او حليل) او أمريكية الصنع
M - 16 فعاداً تريدون^{١٧}

والتفت الاستاذ خالد الى رفيقه يترحم لهما ويستطلع رايهما قل سعيد
- البدقية الامريكية نعم لقد بكور الفصل لي نفساً أن احص سلاح امريكي
لصنع من أن احل سلاحاً اسراييلي الصنع ، لا اسمل النعمن معهم - في من
صاعاتهم أو اتاحهم فكيف سلاحهم^{١٨}

صَدِّكَ عَيْسَى صَحْكُهُ مَيْتَةً وَقَالَ

يَا أَخِي سَعِيدٌ، مَا الْفَرْقُ بَيْنَ امْرِيكِ وَاسْرَائِيلَ؟ كُلُّهُ سِلَاحٌ . وَكُلُّهُ يُسْتَحْمَلُ ضِدَّنَا
وَضِدَّ أَهْلِنَا . ثُمَّ إِنَّ هَذَا لَيْسَ وَقْتُ شَرْحِ فَلَسَفَتِكَ وَشَعْرُوكِ الْعَقْسِيِّ، سَحْرٌ فِي وَادٍ وَأَنْتَ فِي
وَادٍ آخَرَ .

قَالَ الْأَسْتَاذُ خَالِدٌ لِلْحَارِسِ بِالْعَبْرِيَّةِ

- بِفَضْلِ الْبَنْدُوقِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ (M 16) وَلَكِنْ أَسْبَلَعْتُ أَلْفَ دُولَارٍ كَبِيرٌ جَدًّا . خَمْسَمِائَةً
تَكْفِي .

قَالَ الْأَسْتَاذُ هَذِهِ أَمْلَاحُظَةٌ وَلَمْ يَكُنْ يَنْوَقُّعُ أَنْ يَنْتَرِجَعَ الْحَارِسُ عَنْ سَعَرِهِ مَهْدٍ
السَّيْرَةِ . ظَنَّ أَنَّهُ سَيَفْوِضُهُ ثُمَّ يَصِلَانِ إِلَى سَعَرٍ وَسَطٍ بَيْنَ الْأَلْفِ وَخَمْسَمِائَةٍ . وَكَفَّهُ
دُهْشَ عِنْدَمَا سَمِعَهُ يَقُولُ بِسُرْعَةٍ .

- اتَّفَقْنَا خَمْسَمِائَةَ دُولَارٍ مُقَابِلَ الْبَنْدُوقِيَّةِ وَالْمُقَابَلَةِ فِي الشَّارِعِ الرَّئِيسِيِّ فِي الشَّيْخِ
جِرَاحٍ، الشَّارِعِ الَّذِي يَمُنُّ مِنَ الْقُدْسِ إِلَى رَامَ اللَّهِ هَلْ تَعْرِفُهُ؟
صَمَتَ الْأَسْتَاذُ خَالِدٌ هَسْبَةً وَهُوَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ

هَلْ أَعْرِفُهُ؟ أَلَمْ أَمْشِ فِيهِ عَشْرَ مَرَّاتٍ مَشْيًا عَلَى الْأَقْدَامِ وَمِنَاتِ الْمَرَاتِ بِالْحَافِيَةِ
أَوْ السَّيَّارَةِ؟ أَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ أَرْضَنَا وَبِيَوْتَنَا؟ هَلْ يَظُنُّ هَذَا الْآيَةُ مَدْمُنُ الْمَصْرَاتِ أَنَّهُمْ إِذَا
احْتَلَوْا أَرْضَنَا وَشَوَارِعَنَا نَسِيَ مَعَالِمَهَا؟

قَالَ الْإِسْرَائِيلِيُّ لَا تَعْرِفُهُ؟

أَجَابَ الْأَسْتَاذُ بِسُرْعَةٍ

- أَحَلْ . أَحَلْ . أَحَلْ . أَعْرِفُهُ، بِالطَّبْعِ أَعْرِفُهُ وَسَاقِائِكَ فِي أَوَّلِ الطَّرِيقِ - مُقَابِلَ مَطَارِ قَلَنْدَبَا
سَابِقًا

- يَوْمَ السَّبْتِ . السَّاعَةُ الثَّلَاثَةُ عَصْرًا الْقُرُودُ مُقَابِلَ الْبَنْدُوقِيَّةِ

وَقَامَ الْجَمِيعُ مِنَ الْقَهْطِ يَنْتَظِرُونَ ذَلِكَ السَّبْتِ .



صَعَدَ الْأَسْتَاذُ وَالطَّالِمَانِ إِلَى الْحَافِيَةِ، عَاقَتَيْنِ إِلَى مَحَبَّتِهِمَا وَالْفَرَحَةَ بِمَلَأَ جَوَائِحِهِمَا فَمَا
هَذَا الْأَمَلُ الَّذِي طَالَمَا أَنْتَظَرُوهُ قَدْ لَاحَ فِي الْآفَاقِ . وَهِيَ هُوَ قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى مِنْ تَحْقِيقِ
غُرُضِهِمَا وَالْحَصُولِ عَلَى الْبَنْدُوقِيَّةِ . وَهَمْسَ الْأَسْتَاذُ خَالِدٌ

- أَيْنَ سَبْعَتُهَا يَا قُرْبَى؟ هَلْ بَصَغُهَا فِي الْبَيْتِ عِنْدِي أَمْ عِنْدَكَ يَا عَيْسَى؟

قال سعيد بكلّ حماس :

بل عندي لا أكاد أصدقُ أنّ سحاصلُ على واحدةٍ سيأثّرُ أمرها جيداً وسأنظفها
صباح مساءً، وأطمئنُ عليها كلّ دقيقةٍ
قال عيسى:

- بل أرى أن لا يصعبُ عندكها ولا عندي يحتفظُ بها خارج البيوت
وبدت دهشةً على وحيه الثاني وهم يتساءلون
- إذن أين؟

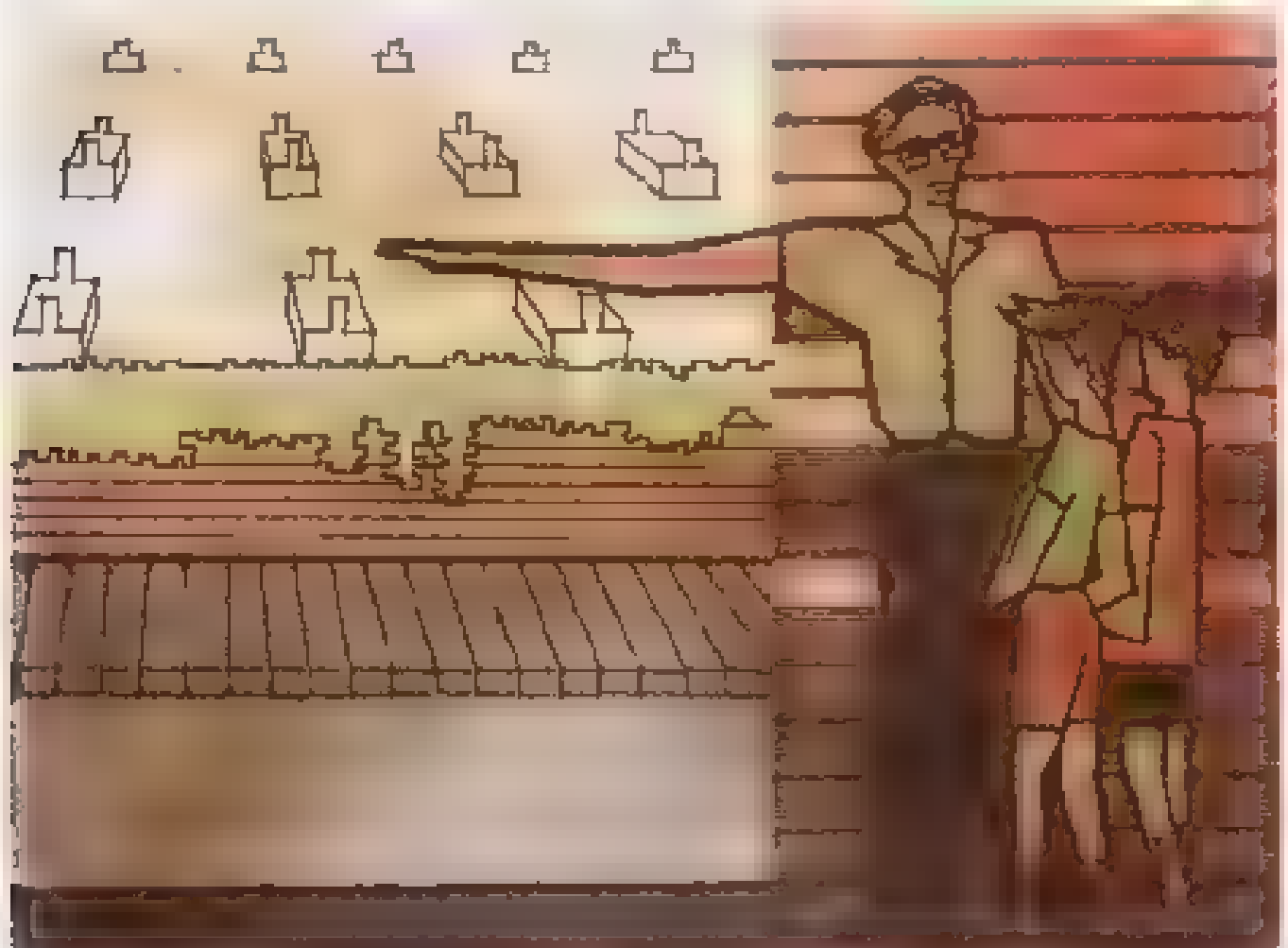
قال عيسى هنا

كانت الحافلةُ تعودُ في تلك اللحظة قرب المنطقة لحديقة الخوخة التي تمتدُ إلى مدينة
بيت لحم وكانت الممراتُ تنتشرُ في احيال هـ وهناك أشار عيسى إلى الغاية والممراتُ
المنتشرة فيها قائلاً

هنا في أيّ معبرةٍ من هذه الممراتِ مصنّهُ لي حين استعمالها ثم تعودُ إلى وضعها
مبها بعد الاستعمال.

بعد ثوانٍ كانت الحافلةُ تمرُّ من أمام مقبرة محيم الدمشقة فأشار الاستاذُ خالدٌ وكأنه
قد وحدها وقال.

سرّ هنا هنا المكانُ المناسبُ يا سيدتي وهو أكثرُ أمناً لنا حين وضعها وحين أخذها.



ولا أحد يشك في هرد يأتي لزيارة أحد أمواته إلا تزور والدك يا عيسى باستمرار؟ وأنت يا سعيد إلا تزور أقاربك الأموات رحمهم الله جميعاً؟

واسأل الملائكة على ما سيكون. ولكن المشكلة كانت الآن في الحصول على ثمن السدقة، من أين سيوفر من مبلغ الخمسمائة دولار وكل منهم يحصل على قوته اليومي بشق النفس.

قال عيسى: أما بالنسبة للقود، فاستطيع تأمين ٧٥ دولاراً حالاً كذب قد دفعها ثمن أكياس رز وسكر وبصاعة أوصيت عليها للذكال. ويمكنني أن أفي الضيقة وسترجع المبلغ هذا عدا عن الذي كنت قد وقفته عندك يا أستاذ من قبل.

قال الأستاذ: حاد.

- نعم وفرت عندي ثلاثين ديناراً أردنياً أي ما يعادل مئة دولار. وأما أمك فمتني دولار وفرتها، حصيصة لذلك، واستطيع أن أحصل من ربحي على خمسين دولاراً أيضاً وبدأ يصنع معاً ثلاثمائة وخمسين دولاراً.

صمت سعيد، وبطر إلى الشابين ثم قال:

- أب، أنا فاعتقد أنني سأشجع المبلغ. سأقف شحاذاً في باب المحيم أو باب الجامع أمد يدي وأقول: «له يا محسنين لله من يدعهم دولاراً لله».

وانطلقت ضحكات عيسى وحالد على منظر سعيد وملا صوته الحافلة فالتفت الركاب إليهم.

سكت سعيد عيلاً ثم عاد يقول:

- أنت يا أستاذ حاد أقوى مني. «عظمك هوى ومدهر» معك مبلغ متني دولار تصفها كما أتصورك تحت اسجدة. أما أنا يا حسرة فمن أين لي؟ طوبى عمره والذي يتعب ويشقى حتى ستماع أن يمتلك محطة البنزين في لطريق الرئيسي، إلى المحيم. ولعنه لم يكن يمتلكها وحده، لقد كان شريك مع أعمامي. ثم أصبح ينزود عليه كل ليلة رجال عرباء من المستوطنين الذين يسكنون قرب المحيم ويعيئون فيه مساكين وطسوا من والذي أقال محطته نهائياً والتوقف عن العمل. لماذا؟ لأن وجود والذي مرفوض ووجود مخيم الدهيشة كله مرفوض. كان يقول لامي وهو مهموم وحزين: «لن أشكو هقي يا بزي وعريمي هو القاضي. لقد قالوا في لمل قديماً لا يلام الذئب في عدوانه إذا كان أراعي عدو العنم. ونحن الغنم والأراعي هو ما يسمى «دولة أسر تيل»، والذئب هو هؤلاء المستوطنون الذين يسكنون حول المخيم.

كان سعيدٌ يتحدثُ وكأنه يروي قصة محطة الوقود لأول مرة، بعدما كان الأستاذُ خالدٌ وعيسى يسمعاها ربما للمرة العشرين. وعندما امتنه سعيدٌ لذلك استدرك نفسه وقال - بالنسبة لي سوف أعملُ على تأمين المبلغ خلال اليومين القادمين.

قال الأستاذُ خالدُ

- شريطه أن لا تقولَ لأحدٍ

قال سعيدٌ طبعاً طبعاً هذا سرٌ بحثُ أن لا نطلعَ عليه أحدٌ سوايَا ولكني سأطلبُ لمساعدة من مَني وأحتجُ سثناء على أساس أننا نجمعُ لفائدة أحد السجناء في سجون لعدو والحيوان وأهل المخيم تعودوا أن يساعدوا السجناء وأهلهم مهما كان وضعهم المالي. وسناء أصبح لها خبرة في ذلك!

فجاءَ حين ذكر سعيدٌ اسم أخيه سناء اضطرب قلبُ عيسى اضطراباً كبيراً. وأحس به يدقُ بضع، حتى خشي أن يكون ذلك ظاهراً على صدره ووجهه، بل الحقيقة أن وجهه قد اضطرب واحمرَّ كالفتاة الحُنى فإراد أن يداري ذلك حتى لا يكشف أحدُ أمره فقال بسرعة:

- وهل سناءُك سناء دوماً في أموركَ هذه؟

نَدَّ أن يستمد عيسى في الحديث عما يكشفُ أمره، إذ به دون أن يدري يتحدث عن سناء

لقد كان في قرارة نفسه يتخفى أن يتحدث ويتحدث عنها وكان يحلو له أن يسمع من أحدها أخبارها في كل لحظة وكل يوم..



حدثت سناء بُذِرَ النحاس بيما حمل سعيدُ طشتَ النحاس وانطلقا إلى السوق قالت سناء لأخيها.

ثم هذه القدر، الطنخرة، ولطشتِ النحاس سوف يدمعُ عن عائلة صديقك السجناء الخويع والفقر لمدة شهر أو شهرين فأنا في عيبك وغياب أمي لم أكن أصرفُ أكثر من بضعة قروش كل يوم، الضروريات فقط ثم إنَّ حالتي أم عيسى كانت لا تتركها إطلاقاً. كانت سناء هي الأخرى تريدُ بشكلٍ أو بآخر استعرش بأخيها علَّه يحبرها خبراً ولو صغيراً عن صديقه عيسى الذي لم تُعدْ تراه كثيراً

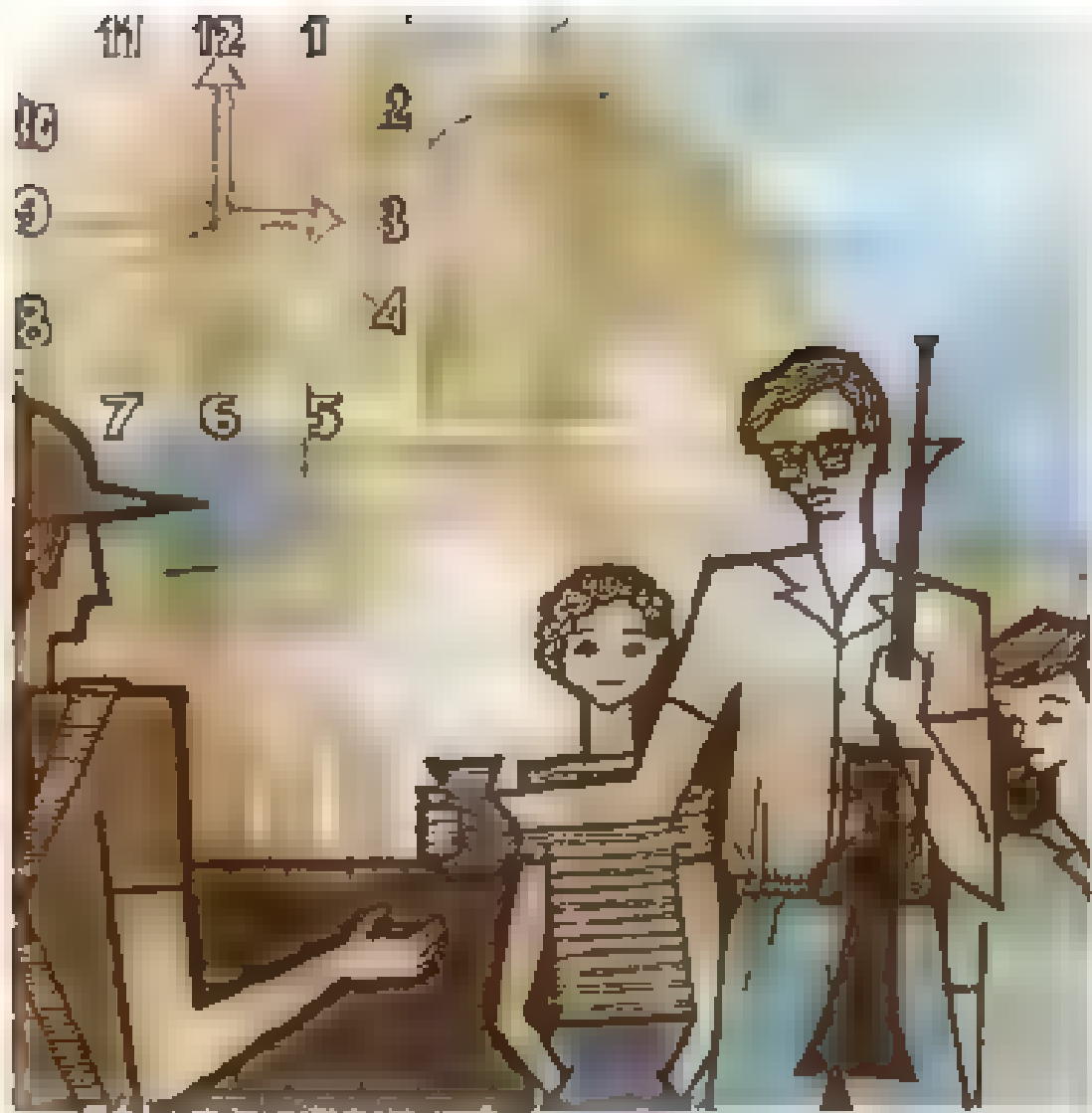
أردفت سماء حفيظة إن الصديق وقت الصيق يا سعيد ورن وهوف عيسى وحالتي أم عيسى قربنا لي عراً الأزمة أثناء غيابك وعياب أمي كان يشد من أزرنا ويقوي من عزيمتنا سكنت سناء فجأة وقد خطر في بالها خاطر حريء لماذا لا تذهب اليوم مساءً عند خالتها أم عيسى تحلب منها المساعدة لهذه العائلة التي يجمع لها أخواها سعيد وعص النبوة إن عيسى وأمه لن يوبيا عن تقديم المساعدة ولعرب الضفاف التي لا تحصل إلا في انقصاص كان عيسى يقف أمامها يحمى قدراً من اللُّحاس أيضاً ويتجه في السوق وأتجه الثلاثة معاً كان سعيد وعيسى لا يتكلمان معاً لأن كليهما يحمل نفس السر في صدره وكان عيسى وسناء لا يتحدثان لأن في صدريهما نفس الاشواق والحنين والحب...

• ١٠ •

الست الساعة الثالثة عصراً كان لثلاثة يقفون دون حديث أيضاً على محطة الحافسة في أول طريق لشبح جزّاح في القدس الأستاذ جالد يحمل صبع الخمسمائة دولار وعيسى وسعيد يرافعان الطريق هل يتراجع هذا لصهيوني في آخر لحظة عن اسيع؟ هل يتركهم يتطورون ولا يحضر سناء؟ هل كانت مجرد مرحلة أو فخ يريد أن يوقعهم به ولماذا يبيع بدقيته التي يحرس بها؟ لماذا سيقرّل لرؤسائه إذا سئل عنها، بل لماذا سيبيعها يا تُرى؟ ولماذا يساهن في ثمن لشبح رأساً من الف إلى خمسمائة، هل هو مضطّر حفيظة بقض الثمن؟

ومن معيب ظهر الشبّ لاسرئبي يحسن كيساً من النايلون متوسط الحجم ويمشي مشبته السابفة يتمايل ذات الجمين وعدت التساؤلات الكثيرة إلى رؤوس الشبّ لماذا نمشي هكذا؟ ولماذا نملو الصفرة وجهه؟ هل يتعاضى المحدرات يا تُرى؟ أم قراه مدمناً على شرب الكحول؟ وهل يريد النبوة إن لسنّ احتياجاته من المحدرات والكحول؟ حتى لو كذب وقال إن بدقيته قد سرقت منه؟

دقائق وانتهى الأمر تم لاستلام والتسميم وفتح الأستاذ كيس النايلون للتأكد مما بداخله وأتجه كل في الاتجاه الآخر هو إلى القدس، ليتزوّد بما ينقصه من المحدرات، وهم إلى مهيرة محيم الدهيشة

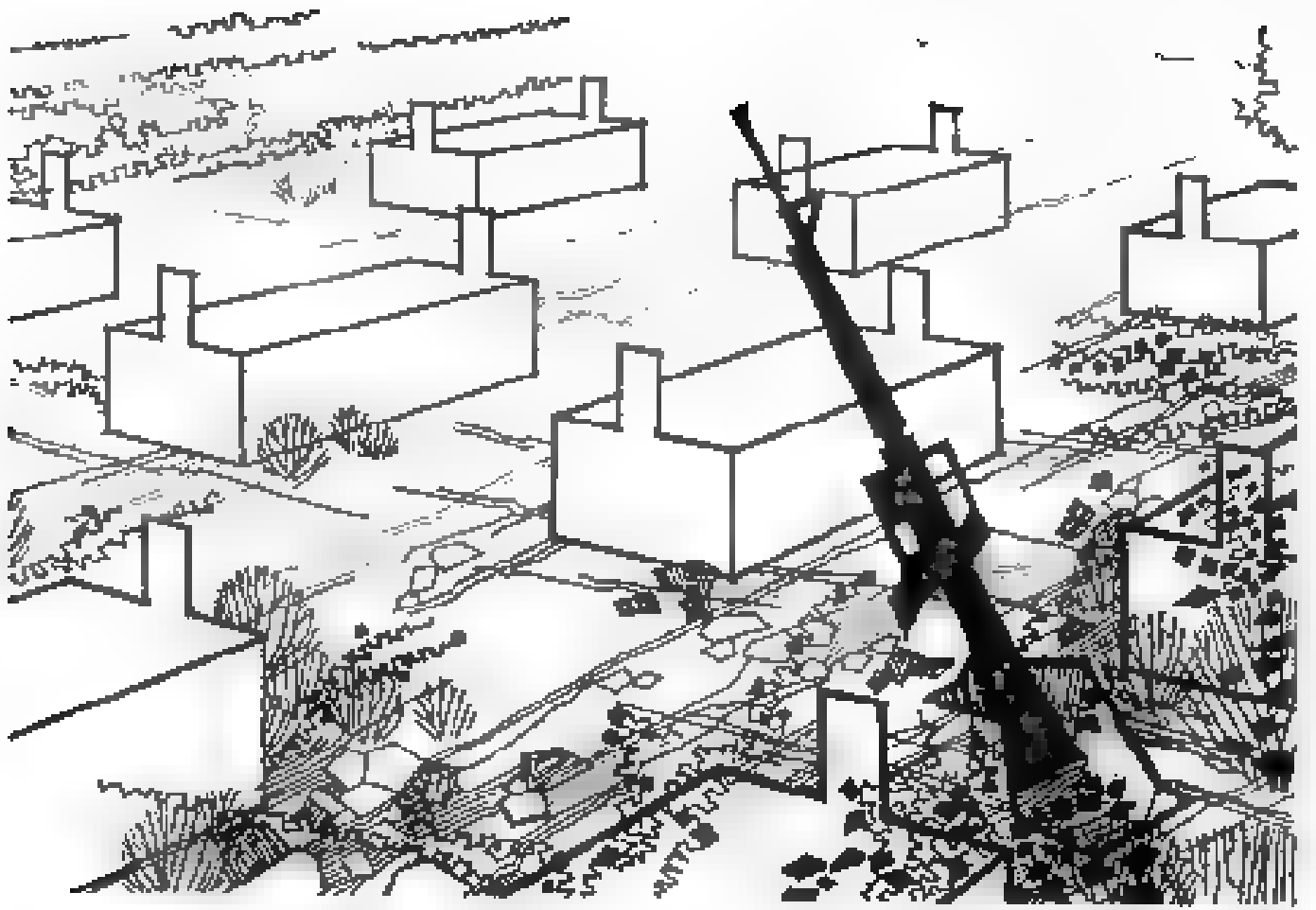


ركب لثلاثاء الثلاثة لحافلة لم يفتح أحدٌ فاد بكلمة واحدة شاهدوا معا استره يعج
بالشباب والشابات اليهوديات من رجال وساء استوصيات القرية من حليم سديشة
كان كل شاب يعاقب فتاته ويهمس بنسب كل احاديث العشق

وما كان اليوم السبت فقد كان عددهم اكثر من أي يوم آخر ووصلت الحافلة قرب
المقبرة فنزل الشباب الثلاثة كي يكملوا المشوار مشياً عن الأقدام ولأن اليوم السبت
فلقد كانت المقبرة خالية الا من أرواح الاموات

اشار الاستاذ خالد الى مكان قريب من مدخل المقبرة سكت حوله شجيرات الصبار
وندا عيسى يحفر بيديه تقرأ موارياً لتقبر الموحود وصغر منه قليلاً كانه قفز صغر بيت

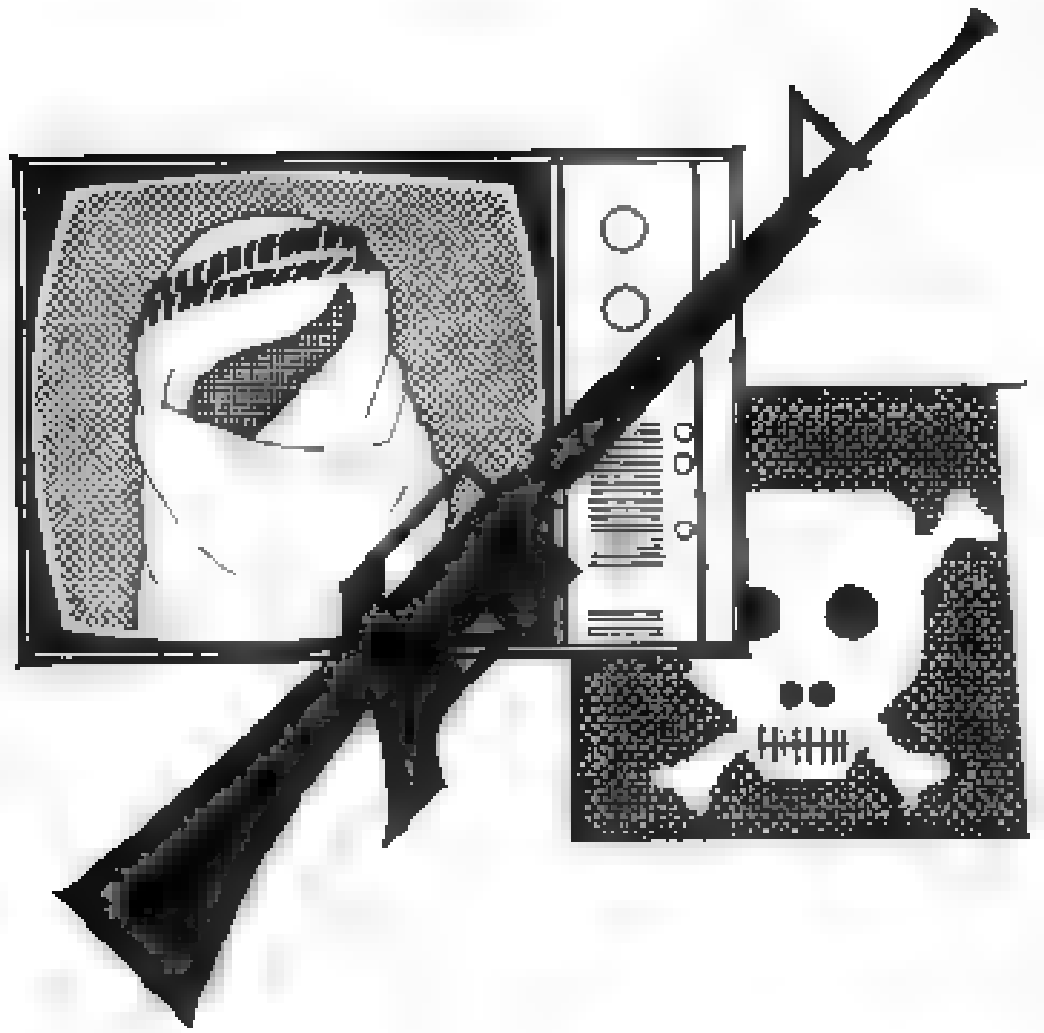
ابتدا الاسماء حاند يفتح كيس السايور يري البندقية ولذخيرة وتكذ من سلامتها
للمرأة شابة وسعيد يراقب الطريق



في مساء يوم الاثنين فتحت سماء وأم عيسى وروحة الاستاذ خالد أجهره النفاار كل في بيتها ومع عائلتها كان سعيد وعيسى والاستاذ خالد يجلسون أيضاً في بيوتهم يستمعون لشرة الاخبار المصورة الساعة السابعة والنصف مساء وكان صوت المذيع الاسرائيلي متحهما وهو يقول

«في الساعة الرابعة عصراً من بعد ظهر أمس عثر رجال الشرطة في المترو قرب بيت لحم على شاب وهتاف اسرائيليين من سكان المستوطنات قرب محيم الدهيشة وقد قتلوا رمياً بالرصاص كان الشاب والفتاة يتفرهان في المترو عندما فاحاهما أحد المحاربين يحمل مدقية تبير أنها امريكية الصنع من نوع (M 16) واطلق عليهما الرصاص بعد أن قبدهما لي أحد المقاعد الحجرية في المترو ويعتقد من ملابسات الحادث أن واحداً أو اثنين من المحاربين قد قضا بهذا العمل والإحرامى، وقد بدأت التحقيقات على الفور لمعرفة الأسباب الدافعة وراء هذا العمل، ولمعرفة كيفية حصول هؤلاء المحاربين على المدقية، وللاحققتهم والقصاص عليهم وعلى السلاح الذي استخدموه.

انهى المذيع الاسرائيلي حديثه وقد وضع صورة رجل عربي يضع حطة على راسه ويبف بها وجهه ورأسه فلا تظهر الا عيانه ثم اضاف قائل



«ويعتبر هذا لعملٍ الأجر ممي، حلقاً من سلسلة أعمالٍ مشابهةٍ لم يستطع رجالُ الشرطة الإسرائيلية الكشف عن هوية مرتكبيها ولا التَّوَصُّسُ إلى معرفة مصادر حصولهم على الأسلحة، والأسلَّاحُ المستعملُ هو سلاحٌ محليٌ يستعملُهُ الحنودُ والحرسُ الاسرائيليون، وإن كان يُعتقدُ أنَّه نفسُ نوعِ السلاحِ الذي فُقدَ من أحدِ الحراسِ في مدينة القدس قبل أيامٍ.»

طلعت سناء ابن أمها ثم أهدتُ حُديقَ في وحا أحيها سعيد الذي كان يستمعُ إلى الخبرِ كُلِّ حوارحه وقالت

- هل سمعتِ يا سعيدة؟ - إنه لعمرُ مُحيرٍ كيف يقولون إنَّهُ سلاحُ اسرائيليٍّ ثم يقولون

إنَّ أحدَ «المحاربين» اعربَ هـ «ستعملهُ» ثم قرأ لي يا سعيدُ هـ اللدان قُتلا هما من الدين يحضرون إلى مخيمنا كُلِّ فترةٍ»

قال سعيد:

- ولماذا تسأليني يا سناء؟؟ لا اعرف عن الموضوع شيئاً.

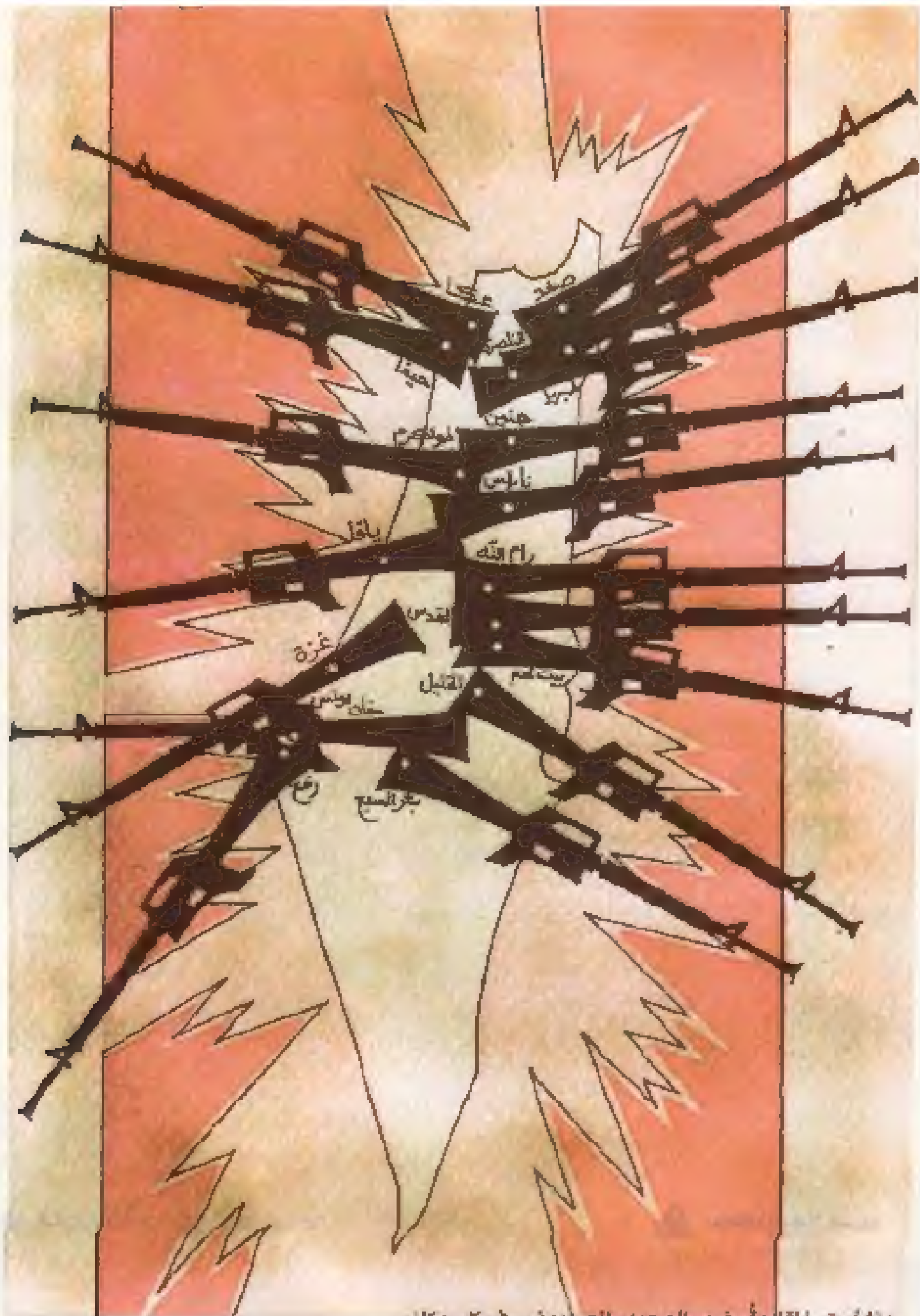
أمّا أم عيسى فلقد كانت تستمع الى الخبر وقد اقتربت من التلفاز حتى كادت تُلصقه.. كانت تريد ان تطمئن وتسمع نهاية الخبر خشية ان يقولوا «إنهم قد قبضوا على الجاني».. ولما انتهى الخبر هبت قائمة من قرب التلفاز وأقفلته بينما قالت لابنها عيسى بكل لهفة:

- عيسى! يا ابني يا عيسى، فم نروح عند خالك أم سعيد ننقل لها الخبر ونبارك لها فيه، فقد تكون لم تسمعه بعد!! قم يا ابني قم، والله ربنا كبير ولا يمكن ان ينسانا.. وقام عيسى من فورهِ.. فهذه فرصة للجلوس عائلياً مع سناء.. وسمع رايها بالخبر وبالرجال الذين قاموا به!!

أمّا فاطمة زوجة الاسناد خالد فلقد اخذت تنظر الى زوجها تارة والى المذيع تارة اخرى.. كانت تريد ان ترى تأثير مثل هذا الخبر على زوجها، فهو في الاونة الاخيرة ومنذ اعتقاله في السجن، لم يعد يُبدي أي اهتمام بالأخبار السياسية مطلقاً. لم يعد يهتم لو رأى المستوطنين الاسرائيليين يدخلون المخيم، او يطلقون الرصاص او يرمون المناشير او يصرخون ويشتمون الاهالي.. اصبح غريباً حقاً، كأن امر المخيم لا يعنيه.. يدخل بيته ويقفل بابه حتى لو قامت الدنيا او قعدت في الخارج، وهي في حيرة من سلبية المطفلة نجاة امله واهل المخيم، فهل يمكن ان يؤثر السجن الى هذه الدرجة على الإنسان فيفقد انسانيته وشعوره؟ وهل سعيد الى سماع مثل هذا الخبر الذي أشغل رجال الشرطة والمخابرات الاسرائيلية نخوته وكرامته؟ هل سيحس أن هؤلاء الشباب الذين قاموا بذلك العمل إنما يثأرون له ولأمثاله من الذين يذلون ويتعذبون على أيدي الجنود والشرطة الاسرائيليين؟!

وظل لغز البندقية (M 16) محبراً للمخابرات والشرطة العسكرية الاسرائيلية بل واتسع نطاق اللغز ليشمل مناطق اخرى في فلسطين، في غزة، في الخليل، في حيفا، في عكا.. مخازن الاسلحة الاسرائيلية بدأت تفقد كل مدة عدداً من البنادق والذخيرة.. ضباط في الجيش الاسرائيلي بدأوا يستجوبون لمعرفة أين وكيف تضيع بنادقهم.. بينما كان بعض الشباب يزورون اقاربهم الاموات في المقابر بين الحين والحين..

تمت



«والفجرت المقاومة ضد الوجود الصهيوني في كل مكان»



دقيق النقص: السيد معتز مراد الهدهد

مؤسسة الخدمات العربية
مركز دراسات
بيروت - لبنان

إقرأ واستمتع

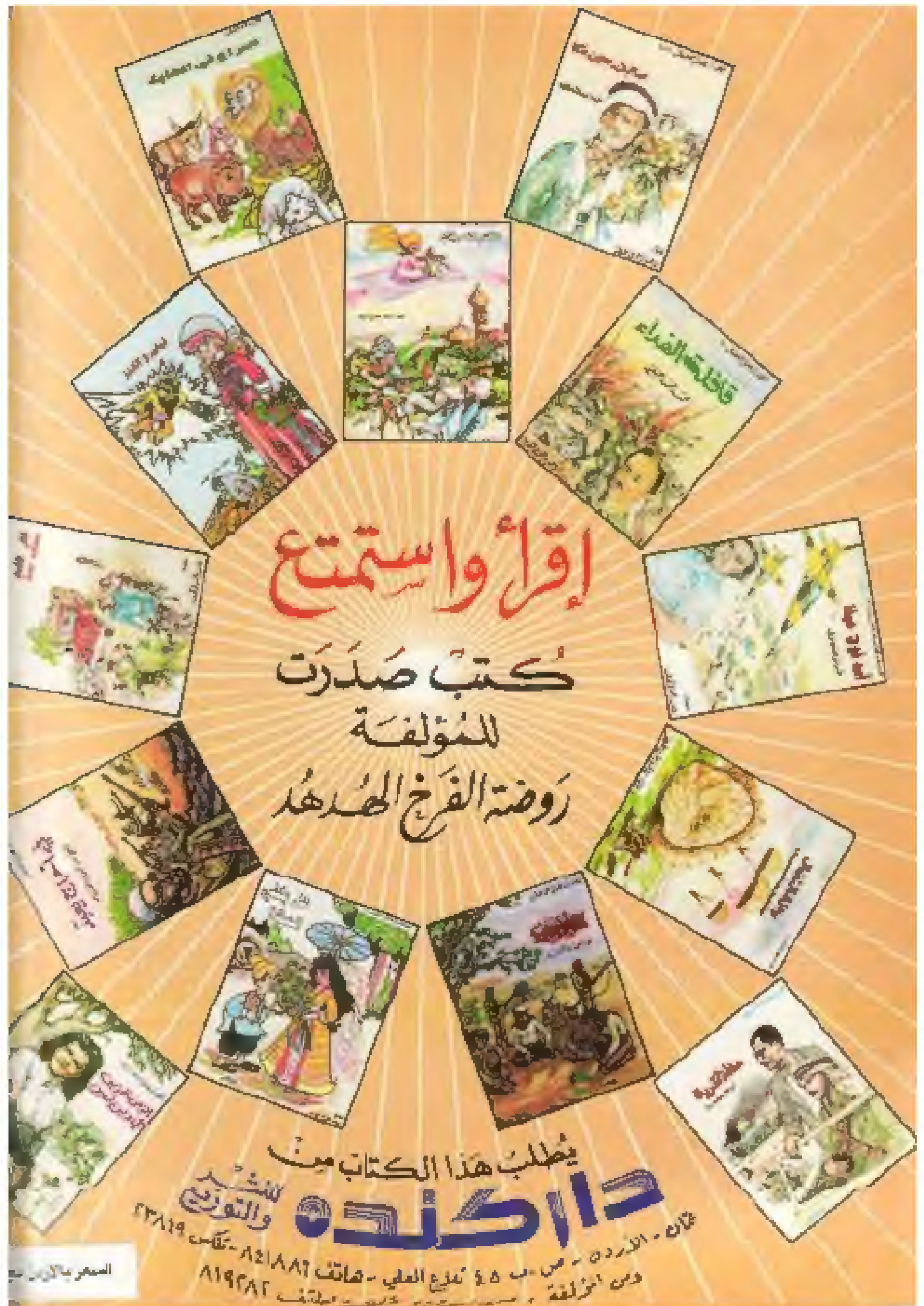
كُتِبَ صَدَرَتْ
لِلْمُؤَلِّفَةِ

رَوْضَةُ الْفَرْخِ الْمُصَدَّهْدُ

يُطْلَبُ هَذَا الْكِتَابُ مِنْ

دار كنده للنشر والتوزيع

عمان - الأردن - ص.ب. ٤٥ - تلخ العلي - هاتف ٨٢١٨٨٦ - فاكس ٢٣٨١٦٩
ومن المؤلفات: ...



السعر ١٢٠٠٠ ر.س